البـــابُ الخامِسُ

الروح فى فكر بعض المحدثين

أقوال المحدثين

أما المفكرون المحدثون[1] فهم فى الجملة بين قولين ، قول بنشوء الحياة من جوهر مجرد ، وقول بنشوئها من استعداد فى المادة يظهر مع التطور والتركيب .

وليس بين القائلين بالجوهر المجرد من الأقدمين والمحدثين اختلاف كبير فى غير أسلوب التعبير .

فالمحدثون يقولون إن الجسم لا ينشئ الحياة ، ولا طاقة للمادة بتوليد القوة الحيوية ، ولكنها إذا بلغت مبلغا معلوماً من الاستعداد صلحت لحلول الروح فيها ، وتهيأت لخدمتها مثلها فى ذلك مثل الموتور يصلح بالتركيب لقبول الكهرباء ، فإن أجزاءه المتفرقة لا تتحرك ولا تقبل العمل الكهربائى إذا بقيت على تفرقها أو اجتمعت على نحو غير النحو الصالح لاستقبال التيار وتلبية حركاته .

وكذلك الأعضاء الجسدية لا تخلق الحياة ، ولكنها تصلح لاستقبالها وتلبية حركاتها متى تم تركيبها على النحو المعروف .

والأقدمون يقولون بمثل ذلك، ولكنهم يعبرون عنه بأسلوبهم المنطقى الذى يستخدمونه للتميز بين الصور والأجسام (فالروح عندهم كمال أول لجسم طبيعى آلى) والكمال عندهم هو الذى تتحقق به ماهية الشىء وهو قسمان :

قسم يصدر منه الفعل وهو الكمال الأول ، وقسم الفعل نفسه وهو الكمال الثانى . والإنسان جسم آلى لا تتحقق له الإنسانية إلا بحلول الروح فيه .

(١) الفلسفة القرآنية / العقاد م . نهضة مصر.

فلا تتحقق له الإنسانية بمجرد وجود الأعضاء فيه ، بل باستقبال هذه الأعضاء لمصدر فعلها وحركتها وهو الروح ، فالروح إذن هى الكمال الأول لتركيب جسم الإنسان .

ودليل الأقدمين على أن الروح جوهر مجرد يلخصه الشهر ستانى فى كتاب نهاية الاقدام فى علم الكلام إذ يقول : (إن العلم المجرد الكلى لا يجوز أن يحل فى جسم ، وكل ما لا يجوز أن يحل فى جسم ، فإذا حل ففى غير جسم ، فالعلم المجرد الكلى إذا حل .. حل فى غير جسم ويؤيد ذلك أنه غير قابل للانقسام) .

ويوشك الأقدمون والمحدثون أن يتلاقوا فى توضيح المشكلة التى تنجم عن القول بتجرد الروح ، ثم القول بتأثيرها فى الأجسام . فالأقدمون يجعلون الجواهر المجردة درجات فى التلبس بالمادة وقابلية الاشتراك معها فى عملها . فلا يؤثر الجوهر المجرد فى المادة مباشرة ، بل يؤثر فيها بواسطة جوهر يقاربه من جهة ، ويقارب المادة من جهة أخرى .

والمحدثون يقيمون هذه القنطرة بين العالمين – عالم الروح وعالم المادة – بفروض كثيرة منها أن الغدة الصنوبرية فى الدماغ هى ملتقى الروح بالجسد ، ومنها أن يرتفعوا بالمادة الجسدية إلى غايتها من الصفاء لكى تتقبل الأثر من عالم الروح . ومنها أن يزيلوا العجب من تأثير الأرواح فى الأجسام بقولهم أن تأثير الروح فى الجسد ليس بأعجب من هذه المؤثرات التى نراها تقع من الأجسام ، فلا داعى للجزم بامتناع أثر الجوهر المجرد فى صور المادة على اختلافها بين الجوامد والأحياء .

وكل فرض من هذه الفروض لا يزعم صاحبه أنه قال فى معضلة الروح قولاً يغنيه عن التمثيل فى هذه المعضلة بالآية القرآنية الكريمة :

(قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

رأى المرحوم الدكتور / عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر[٢] :

الإنسان خلق كرمه الله بقدرات تؤهله للخلافة فى الأرض . وهو خلق مميز عن الممالك الثلاث (مملكة الجماد / مملكة النبات / مملكة الحيوان) فالآية (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) الخطاب فيها موجه إلى بنى آدم ، وهى آية تحدد لنا عالم الأحياء بأبعاد ثلاثة : بيانها :

١ – الإنسان سيد على المادة والطاقة وجملة النبات والحيوان وشرط سيادته (الإيمان)

٢ – الإنسان أخ لكل إنسان .

٣ – الإنسان عبد لمن خلق كل شىء .

والتراث الإنسانى غنى بالنظرات الصادقة إلى النفس ففى معراج السالكين **أن الإنسان تنقسم جملته إلى ثلاثة أشياء (نفس ، وروح ، وجسم) فالجسم : هو المؤلف من المواد والعناصر الحاملة لروحه ونفسه ، وهو الشكل المنتصب – ذو الوجه واليدين والرجلين – وأما الروح : فهو الجارى فى العروق الضوارب والشرايين .. وأما النفس : فهو الجوهر القائم بنفسه الذى ليس هو فى موضع ولا يحل شيئا .**

---

(٢) من حديث لفضيلته فى دمشق سنة ١٩٦١ ميلادية بمناسبة الاحتفال بذكرى الغزالى المئوية التاسعة .

رأى المرحوم عباس محمود العقاد :

ومسألة الروح[٣] هى أعضل مسائل العلم والفلسفة ومذاهب التفكير على التعميم منذ فكر الإنسان فى حقائق الأشياء بين جميع أصحاب النحل والآراء فى جميع العصور .

وسواء فهمنا من الروح أنها جوهر مجرد تقوم به حياة الأجساد .. أو فهمنا كما يفهم الماديون أنها ظاهرة الحياة فى تركيبة من تراكيب المادة – فلا يزال العلم بحقيقتها قليلاً أو أقل من القليل[٤] .

لأن الماديين الذين يعتبرونها قوة من قوى المادة لم يخرجوا بها عن تسجيل الحى ، كما يرونه ولم يستطيعوا فقط تعليل الفارق بين الخلية المادية والخلية الحية بعلة من العلل المادية نفسها ، فضلاً عن العلل التى تتجاوز المادة إلى ما وراءها ولم ينكروا أن الفارق عظيم وأنه أبعد فارق بين شيئين من هذه الأشياء التى تقع فى الكون المحسوس أو الكون المعقول .

فمن المعجزات القرآنية أنه وضعها هذا الموضع الصحيح من الفلسفة والعلم وجعلها أعضل المعضلات التى يتساءل عنها الناس بغير استثناء .

ويزيد فى تقدير هذه المعجزة أن القرآن لم يستكثر على الفكر الإنسانى أن يخوض فى المسألة الإلهية . وأن يصل إلى الإيمان بالله عن طريق البحث والاستدلال ، والنظر فى آيات الخلق وعجائب الطبيعة .

فالعقل يهتدى إلى وجود الله من النظر فى وجود الأشياء ووجود الأحياء ،

---

(٣) ذكرت فى القرآن بلفظها ١٨ مرة .

(٤) من كتاب العقاد : الفلسفة القرآنية ص ٩٨ .

ولكنه لا يهتدى إلى حقيقة الروح من هذا الطريق ولا يذهب فيها مذهباً أبعد ولا أعمق من الإحالة إلى مصدر الموجودات جميعاً . وهى إرادة الله أو أمر الله . وقد عجب بعض المفسرين لذلك وراحوا يتساءلون أتكون مسألة الروح أكبر من المسألة الإلهية وهى غاية الغايات فى سبح العقول ؟

ولكنهم فى الواقع يرجعون بالعجب إلى غير مرجعه الأصيل . لأن المعضلة الفكرية لا تبلغ مبلغ الإعضال بقدر عظمتها واتساعها . بل بمقدار دقتها وخفائها ..

المؤلفـــان :

وفى رأينـا أن النفس جوهـر مشرق ربّـانى، إذا خالط البـدن أكسبه قـدراتٍ، بعضها يطفو والبعض الآخر يغوص. فأما الذى يطفو فيتعطل بالنـوم، وأما الـذى يغوص فلا يتعطل بالنوم ولا بغيره ما بقى الآدمى على قيد الحياة . وقد ورد هذا التأويل فى أقوال بعض المفسرين حين عرضوا لقوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . وجدير بالذكر هنا أن بعض الأساتذة الدارسين لعلوم الطب الحديث يؤكدون أن مراكز الأعصاب التى تتحكم فى الإبصار والسمع والنطق تتعطل بالنوم ، على حين أن مراكز الأعصاب التى تتحكم فى الدورة الدموية وانتظام التنفس واستمرار القلب فى وظيفته ، ويقظة الأعصاب اللا إرادية (التى تمنع النائم من أن يبول مثلا) تقع كلها فى مواقع تغوص فى البدن فمنها ما يقع تحت تلافيف المخ ومنها ما يسرى فى السلسلة الفقرية من أعلاها إلى أدناها (وهو قول يؤكد أقوال السلف الصالح) .

-- والروح خلق فى عالم الغيب لم يرد فى كتاب الله إلا بصيغة الإفراد دون الجمع فلا ذكر فى القرآن الكريم للأرواح أبداً (وأما النفس ففيها المفرد والجمع) . أما ذكر بعض الأحاديث النبوية للأرواح بصيغة الجمع فقد عرض له الفقهاء ، وقالوا أن الأنفس أصلها من الروح ، ومن ثم جازت تسمية الفرع بما يطلق على الأصل (من قبيل المجاز) وفى فهمنا أن الإنسان يتكون من عنصرين :

أحدهما : أرضى خالص هو البدن ، وهو جسم كثيف أصله من التراب ومآله إلى التراب ، ولا تصلح حاله فى الدنيا إلا على شىء من تراب كالنبات والأداة والطاقة .

والعنصر الثانى : هو الجوهر المشرق الذى تقدم ذكره ، ويعرف بالنفس وقد تأتى لفظة النفس مرادفة للفظة نسمة (على سبيل المجاز) فالحياة إذن ظاهرة موقوتة تجد علتها فى ائتلاف العنصرين السابقين وحين يفترقان فإن هذه الظاهرة تتوقف ولا يبقى لذاتها من أثر .. هذا عن الحياة الأولى أما الحياة الأخرى فشىء آخر نؤمن به وبتفصيلاته التى وردت فى الكتاب والسنة ، وسوف نعرض لها فى نهاية كتابنا الثالث فى سلسلة حقيقة الإنسان.. (حقيقة النفس).

الماديون والروح

والماديون الذين يقولون بنشأة الحياة من المادة لا ينيبون بطبيعة الحال إلى علم الله فى معضلة من المعضلات . ولكنهم ينيبون على الرغم منهم إلى رأى فى تعليل الحياة هو أعجز وأبلغ فى التسليم من إنابة المؤمنين ، لأن قصارى ما ذهبوا إليه أن الحياة حصلت لأنها قابلة للحصول .. فهم يعترفون بالفارق بين الذرة المادية

والخلية الحية ، ولكنهم يقولون أن الخلية الحية قد تترقى بالتطور والتركيب المتلاحق إلى اكتساب خصائص الحياة ، ويمثلون لذلك بالعناصر التى تتركب فتظهر فيها بعد التركيب خصائص لم تكن لعنصر من عناصرها على انفراد .

وهكذا يترقى التركيب بالمادة إلى مرتبة النبات فالحيوان . فالإنسان العاقل فما فوق الإنسان مع تطاول الزمان .

ولكنهم لا يذكرون دليلاً واحداً على حدوث الحياة من مثل هذا التركيب .. ولا يذكرون سبباً ماديًّا معقولاً لالتزام المادة سلم الارتقاء طبقة فوق طبقة منذ الأزل الذى لا يعرف له ابتداء ؟ ولا يذكرون سبباً ماديًّا واحداً يوجب أن تنفرد بعض الوجود ، ولا يشعرون بقصور هذا الغرض عن تفسير الخصائص التى تتوزع بين ألوف الخلايا التى تتولد منها الأنواع الحية ، وفى كل خلية منها قدرة على التجدد والتعويض ونقل طبائع النوع كله ، وهى فى دقتها أخفى من أن تتراءى الألوف منها للعين بغير منظار .

فإن الناسلات التى تنشئ النوع الإنسانى كله يمكن أن تجمع فى قمع صغير من أقماع الخياطة ، وفى هذا القمع الصغير تكمن جميع الخصائص التى يختلف بها ملايين البشر فى الأفكار والعادات والأعضاء والألوان . وتكمن جميع الموروثات التى تلقاها سكان الكرة الأرضية عن آبائهم وأجدادهم منذ مئات الألوف من السنين ، وجميع الموروثات التى يخلفونها لأعقابهم إلى مئات ألوف أخرى بغير انتهاء . فإذا كانت للحياة معان تقوم على الوعى الذى لا يوجد فى المادة ويكفيها مثل هذا الحيز من الامتداد وهو أقرب إلى المعقولات منه إلى المحسوسات فماذا أبطل الماديون من القول بقوة الروح المعنوية ؟ أو ماذا أبطلوا من القول بتوسط هذه المعانى بين المجرد والوجود المحسوس ؟

إذا كانت الحياة لا توجد فى كل مادة وكانت المادة الخاصة التى توجد فيها

تتلقاها بمعانى لا يحصرها الحس وتأخذ منها كل هذه الأجسام التى تملأ فضاء الكرة الأرضية فهل هذا هو تفسير السر المغلق أو هذا هو السر المغلق الذى يدق عن العقول ؟ وأى الأجسام بل أى آكام من الأجسام . أهى أجسام وكفى تتساوى فى جميع الأشكال والأحجام ؟

كلا بل هى أجسام تختلف كل ذرة منها عن كل ذرة ، ولا تنوب واحدة منها عن الأخرى أو تختلط شخصية منها بشخصية سواها ، فأين يبتدئ التلغز والتخمين إذا كان هذا نهاية التفسير والتبيين . ؟

وإذا كان الماديون قد بلغوا بتجريد قوة الحياة أقصى ما يستطيعه المادى من صفات التجريد – فإن القول بالتجريد المطلق لا يقطع الكلام فى مسألة الروح، ولا يتركه بغير بقية طويلة تستتبع الأسئلة الكثيرة بغير جواب.

فهل الجوهر المجرد البسيط يقبل الفناء ؟ وهل كان معدوماً قبل أن يوجد ؟ إن فريقاً من الفلاسفة يقول إن الجوهر البسيط لا يتغير ولا يفنى . لأن الانحلال إنما يأتى من جهة التركيب ، وليس فى الجوهر البسيط مركب ، وليس بقابل للفناء غير قابل للإيجاد بعد عدم وليس له ابتداء ولا انتهاء .

وبعض المتدينين يقول بقدم العالم كله لأنه لا يخلق فى زمان والجواهر البسيطة من باب أولى قديمة على هذا الاعتبار . وقد يستشهد هؤلاء على قدم الروح بأنها من روح الله (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) .

فالروح من روح الله ، وهو أزلى أبدى بلا أول ولا آخر ، ولا زمان

ولا مكان ، ومنهم من يقول بحدوث الروح ، ويعنى بذلك أنها غير قديمة وينكر قدم العالم على الإجمال .

وهنا يرد على الخاطر سؤال عن تساوى الأرواح فى القدم أو تساويها فى الحدوث .

فهل وجدت أرواح الآباء والأبناء والأحفاد فى وقت واحد ؟ أو وجدت على تفاوت فى الترتيب ، وهل تنقطع صلة الأبوة بين الأرواح ، أو هناك أرواح توصف بالنبوة على النحو الذى نشهده فى الحياة ؟ وما الفارق بين أرواح الآباء والأمهات وأرواح الذكور والإناث .

ويرد على الخاطر سؤال آخر عن علاقة الروح بالجسد بعد دخوله والامتزاج بأعضائه هل تأتى بالمعرفة معها من عالم الأرواح أو هى تتلقى المعرفة من ملامسة الأعضاء وحسن الحواس التى تتألف من البصر والسمع واللمس والشم والذوق وما إليها . وهل تحمل معرفتها معها بعد فراق الجسد أو تتركها وراءها بعد انقطاع الصلة بينها وبين الإحساس بالحواس ؟ ويرد على الخاطر سؤال غير هذين السؤالين فى مسألة الثواب والعقاب : فهل تخلص الروح من الجسد ، كما دخلته مبرأة من الذنوب ؟ وهل يلصق شىء من الجسد بشىء من الروح ، وإذا كانت قبل نزولها فيه وخروجها منه خالصة من تلك الذنوب فكيف يكون العقاب ؟ أو كيف تعاقب الأجساد بمعزل عن الأرواح ؟ أو كيف تعاقب الأرواح بمعزل عن الأجساد ؟

والذين قالوا بدخول الروح فى الأجساد أكثر من مرة يسألون ، لماذا ينسى الروح حياته الأولى فى الجسد القديم بعد دخوله فى الجسد الجديد ؟ وهل يعود إلى التذكر بعد التجرد من الحياة الجسدية ؟ أو هو فى كل مرة يرجع إلى ما كان

عليه قبل الحياة الجسدية ، كأنه لم يتلبس قط بالأجساد وماذا تفيد الروح من تكرر الحياة إذا كانت تبقى بعد موت كل جسد ، كما كانت قبل حياتها فيه ؟

الروح والنفس والعقل

ولا يقل عن هذه الأسئلة فى الإعضال سؤال السائلين : هل الروح والنفس والعقل شىء واحد أو هى أشياء مختلفات ، وهل هى فردية أو عامة فى جميع الأحياء العاقلة ؟

فمنهم من يقول إن العقل والروح والجسد كلها هى قوام العنصر المجرد فى الإنسان ، وإن ما عداها عنصر جسدى قابل للانحلال .

ومنهم من يقول إن العقل وحده هو العنصر المجرد ، وإن النفس درجات والروح فى أعلى هذه الدرجات ، ثم تنحدر درجات النفس فتلتقى بالجسد فى الحياة الحيوانية ، ولا يختلف شأنها فى هذه الحالة عن شأن الدم الذى ينبعث منه حركة الأعضاء أو شأن الأبخرة اللطيفة التى تتخلل تلك الأعضاء .

والقائلون بذلك يقولون إن العقل عام فى جميع العقلاء وإنه غير متوقف على الأفراد ، لأن أحكامه واحدة فى جميع العقول وقضاياه ثابتة فى جميع الأحوال وذلك على خلاف النفس[٥] التى تختلف بأذواقها ومشتهياتها بين فرد وفرد وبين حال وحال .

فالعقل إذَنْ هو الخالد الباقى الذى لا يفنى بفناء أجساد الأحياء ، أما

---

(٥) ذكرت النفس بلفظها فى القرآن ٢٧١ مرة وهى جمع للجسد والروح معاً ، ويرى كثير من الأطباء أن هناك ربطاً قويا بين الأمراض الجسدية والأحوال النفسية للمريض .

النفس فشأنها شأن الجسد فى التميز والتحيز وقبول الفناء .

ومن الماديين من يأتى وسطاً بين المجردين والمجسدين ، فعندهم أن وجود الروح لاحق لوجود الجسد ، وأن الجسد إذا ترقى فى التركيب نشأت من تركيبه وجهة معنوية أو شخصية مستقلة صالحة للبقاء ، بمعزل عنه وكانت وجوداً جديداً لا ينعدم ، لأن الموجود لا يقبل العدم . ولا فرق فى ذلك بين وجود الكيفية ووجود الكم أو المقدار .

وأقرب ما يمثلون به لذلك وجود القصيدة فى قريحة الشاعر أو وجود اللحن الموسيقى فى قريحة الموسيقار أو وجود الفكرة فى قريحة الفيلسوف .. فهذه الوحدات المعنوية من عمل الشاعر والموسيقار والفيلسوف ، ولكنها استقلت بوجود قابل للبقاء بعد زوال من خلقوها وانفردوا بخلقها بين أصحاب القرائح التى لا تحصى .

وتمثيلهم هذا تمثيل تقريب وليس بتمثيل تحقيق . لأنهم يقصدون أن الشخصية الروحية التى يتمخض عنها تركيب الجسد أو تركيب الدماغ خاصة هى كيان قائم بذاته ، وليس بالكيان الذى يتوقف على غيره كقصيدة الشاعر ولحن الموسيقار وفكرة الفيلسوف ، وكل منها لا يقوم إلا بسامع أو معين .

تحضير الأرواح

وإذا أردنا أن نشمل بالكلام فى الروح أحاديث القائلين بتحضير الأرواح فالأسئلة هنا تتوارد من أصحاب الدين ، كما تتوارد من أصحاب العلم وأصحاب الفلسفة . فلك أن تسأل هل السيطرة على الأرواح مسألة قدسية إلهية ؟ أو هى مسألة آلية صناعية ؟

فإن كانت قدسية إلهية فما هذه الآلات والأشعة والمصورات والمحركات ؟ وما هذا الارتباط بين تحضير الأرواح الحديث والمخترعات الحديثة ؟ وما هذه السيطرة على الأرواح بسلطان تلك الآلات والمخترعات فى أيدى قوم لم تعرف عنهم قداسة ضمير أو رياضة نسك وصلاح ؟

وإن كانت آلية صناعية فأى تغليب للمادة على الروح أقوى من هذا التغليب الذى ينوط كشف الأرواح بتقدم الصناعات والمخترعات ؟ ويجعل عالم الروح كعالم المادة تابعاً لآلة تدار أو مخترع جديد لم يكن معروفاً قبل القرن العشرين ؟ وكيف نفسر أن عالم الروح كله لم يستطع بجهوده وبواعثه أن ينفذ إلى عالم المادة ، وأن عالم المادة استطاع ببعض الأجهزة أن ينفذ إلى عالم الروح ؟ وهل سعت الأرواح إلينا فعجزت فى مسعاها ، أو هى لم تسع قط ونحن الذين أرغمناها على الظهور لنا والتحدث إلينا ؟ وما معنى قدرتنا وعجزها فى هذه الجهود التى لا قوة لنا فيها بغير أرواح التحضير ؟ .

الروح : اصطلاحات ومعان

وإلى هنا نكون قد خصصنا الروح بالمعنى الذى يقصد به قوام الحياة، أو قوام الحياة والعقل فى الشخصية الإنسانية.

ولكن الروح عُمِّمت فى القرآن لغير هذا المعنى . وارتفعت بمعانيها فى القرآن من الوجود المادى إلى الوجود المنزه عن المادة وخصائصها . وقد تلحق بالوجود الإلهى الذى لا شبيه له فى الموجودات .

ولكن الاصطلاح الذى لا يتعرض أصحابه للحصر والتحقيق يطلق الروح أحياناً على معنى الحياة فى كل ذى حياة فيقولون (كل ذى روح) ويقصدون به

عالم الحيوان ويجمعون بين الروح والنفس فى معنى واحد . ثم ينحلون النبات نفساً ، ويفرقون بينها وبين نفس الحيوان ونفس الإنسان ببعض الخصائص التى تجعل معنى الكائنات النفسية أحياناً بمعنى الكائنات العضوية فى اصطلاح العلم الحديث .

والذين يطلقون الاصطلاح هذا الإطلاق منهم المؤمنون بالدين ومنهم من تقدم الأديان الكتابية ، ومنهم من ظهر بعدها وأنكرها كما ينكرها الدهريون الذين قالوا إنها حياتنا الدنيا نموت فيها ونحيا .

فصاحب الهدية السعيدية المولوى محمد فضل الماتريدى يلخص معانى النفوس فيقول : « إن المركب الذى له مزاج وليس من المعدنيات ذا نفس أرضية .. والنفس الأرضية إما نفس نباتية أو نفس حيوانية أو نفس ناطقة .. وعرفوا النفس النباتية بأنها كمال أول لجسم طبيعى آلى من حيث يتغذى وينمو » .

ثم يقول عن النفس الإنسانية .. إن النفس جوهر مجرد واحد ولها وجه إلى البدن ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل لأثر من جنس مقتضى طبيعة البدن .. ووجه إلى المبادئ العالية ويجب أن يكون دائم القبول عما هناك . والتأثير منه ، فمن الجهة السفلية تتولد الأخلاق ، لأنها تؤثر فى البدن الموضوع لتصرفها مكملة إياه تأثيراً اختياريا وتسمى قوة عملية وعقلاً عمليًّا .. ومن الجهة الفوقانية تتولد العلوم لأنها تتأثر عما فوقها مستكملة فى جوهرها بحسب استعدادها وتسمى قوة نظرية وعقلاً نظريًّا .. فالقوة النظرية من شأنها أن تنطبع بالصورة الكلية المجردة من المادة .. فإن كانت مجردة فلا تحتاج فى أخذها إلى تجريدها .. وإن لم تكن فتصير النفس مجردة بتجريدها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة . فإذا أغضينا عن فوارق الأسلوب ففى هذا الكلام مواطن اتفاق كثيرة بين

الأقدمين والمحدثين ، وبين الفلاسفة والعلماء ، وبين أصحاب الدين وغيرهم من المفكرين .

فجميع هؤلاء متفقون على التفرقة بين الجسد العضوى ، والجسد الذى لا تعضى فيه .. وجميع هؤلاء متفقون على إلحاق النبات بعالم الحياة فى خصائصها التى تميزها من المادة على الإطلاق .

وجميع هؤلاء متفقون على النطق أو العقل خاصة إنسانية تميز الإنسان من الحيوان ، ولكنهم إذا جاءوا إلى الصفة التى تكسب الحى قدرة المعرفة وقع بينهم أكبر اختلاف يقع بين مختلفين .

فتوزع القوى المدركة فى النفس على حسب الاتجاه العلوى أو السفلى كلام يسيغه بعض الفلاسفة وبعض المتكلمين ولا يسيغه الآخرون .

وتدرج القوة العاقلة من الحيوان إلى الإنسان كلام ينكره الدينيون ولا يتفق عليه علماء الطبيعة الذين يجعلون العقل من عنصر غير عنصر الغريزة أو البداهة الحيوانية .

وينتهون جميعا إلى (علم قليل) فى هذا المبحث العويص الذى لا يدانيه فى اعتياصه مبحث آخر من مباحث الطبيعة أو ما وراء الطبيعة[٦] .

وقبل أن نسترسل فى تفصيل ما أوضحناه إجمالاً نلفت النظر إلى أننا لسنا نسرد هذه الخلافات ، لنقطع فيها بقول فصل لا خلاف عليه ، ولسنا نسردها للفصل فى مكان الروح من الجسد أو الادعاء بالإحاطة بأسرارها وأسرار النفس ، وفك ما تلغز علينا من الأسرار .. فليس إلى ذلك من سبيل .. بل إن العلم المتجدد مهما بلغ به الترقى ، فإنه لن يصل إلى تفسير عمل الروح . ولسوف

---

(٦) الفلسفة القرآنية / العقاد .

يبقى ذلك مكنوناً عنا تأكيدا لمعنى (الروح من أمر ربى) .. (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .) .

والروح أرضية فى رأى طائفة
وعند قوم تُرقّى فى السموات
تمضى إلى هيئة الشخص الذى سكنت
فيه إلى دار نعمى أو شقاوات
وكونها فى صفيح الجسم أحوجها
إلى ملابس عـــنتهـــا وأقوات
(المعرى)